الفصل الخامس

صور التحويل بالزيادة

سبق أن بينا أن الزيادة التي تعد عنصراً من عناصر التحويل هي تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة التوليدية كلمات قد تكون فضلات أو قيوداً، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق زيادة في المعنى. وأساس ذلك أن كل زيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى.

١- التحويل بزيادة القيود (الزوائد غير العاملة):

الصورة الأولى:

وفيها تكون مثل هذه الجملة الاسمية المركبة محولة بزيادة حرف الاستفهام والجر. ونقف على ذلك في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم)(فاطر/٣). فالجملة الاسمية المركبة "هل من خالق غير الله يرزقكم" قد اعتراها تحويل بالزيادة. فهي مؤلفة من حرف الاستفهام التصديقي "هل"، "لأن أدوات الاستفهام في العربية تعتبر أدوات تحويل لها وظيفة دلالية بحتة"(١)، والمبتدأ " خالق" المجرور لفظاً المرفوع محلاً، والنعت" غير" المضاف إليه لفظ الجلالة " الله"، والخبر "يرزقكم" الوارد وحدة إسنادية مضارعية بسيطة.

ولقد أجاز كل من صاحب كتاب" البحر المحيط"و"الكشاف"أن تكون هذه الوحدة الإسنادية المضارعية صفة للمبتدأ "خالق".

وهذه الجملة وظيفتها البيانية تمثلت في تفسيرها لنعمة الله التي ينبغي للمؤمنين المخاطبين في الآية ذكرها؛ فقد أوضحت معنى الجملة الطلبية الاستئنافية "اذكروا نعمة الله عليكم"

الصورة الثانية:

وفيها سنجد أن حرف الجر الزائد قد أضيف إلى الوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة المؤدية وظيفة الفاعل. ونقف على نموذج لها من قوله تعالى: (هيهات لما توعدون)(المؤمنون / ٣٦). فالجملة الفعلية المركبة(٢) في هذه الآية يلاحظ أن المسند فيها" هيهات" قد ورد ما يشبه الفعل (اسم فعل ماض). وبنيته العميقة "بَعُدَ". والوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة "لما توعدون" المؤلفة من اللام (حرف الجر الزائد)، و" ما " الموصولة، والفعل المضارع المبني لما لم يسم فاعله " توعدون "، وواو الجماعة (نائب الفاعل) وظيفتها فاعل للخالفة "هيهات". وثمة فرق جلي فيما لو حذف حرف الجر الزائد وقيل " هيهات ما توعدون ".

الصورة الثالثة:

وفيها يكون عنصر التحويل هو الحرف الجر الزائد " رب " الذي غرضه التقليل، يقول الشاعر:

ألا رب مولود وليس له أب وذي ولد لم يلده أبوان

فالمولود الذي ليس له أب هو " عيسى عليه السلام "، والذي له ولد ولم يلده أبوان هو " آدم عليه السلام ".

وقول "هند أم معاوية":

يارب قائلة غداً يا لهف أم معاوية

فكل من كلمة " مولود " و" قائلة " هي مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً.

وقد تكون " رب " الزائدة لغرض التكثير. من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم " رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة " (٣) وقوله "رب أشعث لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره"(٤) وقول "حسان بن ثابت":

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم

وقول " عدي بن زيد ":

رب مأمول وراجٍ أملاً قد ثناه الدهر عن ذلك الأمل

وقول " امرىء القيس ":

ألا رب يوم لك منهن صالحٍ ولا سيما يوم بدارة جلجل

وقد علق على هذا البيت الأخير "الجرجاني" بقوله "لا شبهة في قصد التكثير"(٥)

الصورة الرابعة:

وقد يكون التحويل بالزيادة لغرض توكيد النفي. ونقف على ذلك في قول جميل:

لا لا أبوح بسر بثنة إنها أخذت علي مواثقاً وعهودا

وقد تحقق ذلك بتكرار حرف النفي " لا ". (٦)

و من ذلك قول أبي تمام:

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الأوطار

الصورة الخامسة:

وقد يلجأ مستعمل اللغة إلى توكيد النفي وتقويته بإدخال حرف الجر الزائد ممثلاً في (الباء) و(من) و(إن) بعد أدوات النفي على الخبر الذي يعرب خبراً مجروراً لفظاً، مرفوعاً محلاً. فدخول (الباء) على الخبر المنفي الذي يفيد تقوية نفيه وتوكيده، نقف عليه في قوله تعالى: (وما الله بغافل عما تعملون)(البقرة/٧٤) و(لست عليهم بمسيطر)(الغاشية / ٢٢).

ومنه قول الشاعر:

ولست بمستبقٍ أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب؟

ودخول (من) في الجملة المنفية يفيد توكيد النفي أيضاً، وهي تؤكد نفي جزء متعلق بالمسند (الفعل) سواء أكان الاسم المجرور فاعلاً كهذا الاسم الوارد في قوله تعالى: (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها)(المؤمنون/٩١) أم مفعولاً به كهذا الاسم الموظف في الآية الكريمة، : (ما اتخذ الله من ولد)(الأنعام/ ٥٩) .

الصورة السادسة:

وفيها تكون هذه الوحدة الإسنادية محولة بزيادة " الـ " التعريف. وإضافة ضمير الفصل وشاهدها قوله تعالى: (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون)(العنكبوت/ ٥٣). إذ إن الوحدة الإسنادية الاسمية البسيطة "أولئك هم الخاسرون" المؤلفة من المبتدأ " أولئك"، وضمير الفصل " هم" المفيد التوكيد، والخبر" الخاسرون" المحول بالتعريف يلاحظ أنها قد أدت وظيفة خبر المبتدإ " أولئك ". وهي تفيد قصر الخسران على المبتدأ (٧)، أي استحقاق المبتدأ للخبر.

الصورة السابعة:

وفيها تكون الجملة الماضوية محولة بزيادة مؤكدين.

ونقف عليها في الآية الكريمة: (ولقد أرسلنا إليك آيات بينات)(البقرة/٩٩). فالجملة الماضوية البسيطة في هذه الآية محولة بزيادة المؤكدين: "اللام " و"قد".

الصورة الثامنة:

وفيها سنجد أن الوحدة الإسنادية الاسمية المحولة بالزيادة إنما هي محولة لغرض القصر بالأداة "إنما". ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: (قالوا إنما أنت مفتر) (النحل/١٠١). فالوحدة الإسنادية الاسمية " إنما أنت مفتر" المؤلفة من أداة الحصر " إنما"، والمبتدأ " أنت"، والخبر " مفتر"(٨) مؤدية وظيفة مقول القول. وهي تفيد أن هذا المقول مؤكد. والبنية التوليدية لهذه الوحدة الإسنادية هي "أنت مفتر".

وقد تكون الوحدة الإسنادية المؤكدة بالقصر الذي قوامه الأداة "إنما" ماضوية. وقد احتوتها الآية الكريمة: (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استز لهم الشيطان ببعض ما كسبوا)(آل عمران /١٥٥). فالوحدة الإسنادية الماضوية " إنما استز لهم الشيطان " وظيفتها خبر " إن"(٩) فهي في محل رفع، وقد أفادت إثبات استزلالهم من الشيطان. ومعناها ما استزلهم إلا الشيطان. لذلك فالبنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية الماضوية هي" مؤكد استزلال الشيطان لهم" لأن "إنما" تأتي لإثبات ما بعدها ونفي ما سواه (١٠)، أي لم يستزلهم أحد غير الشيطان.

الصورة التاسعة:

وفيها يكون القصر قوامه " ما " + " إلا ". ونقف عليها في قوله تعالى: (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن)(يوسف/٢٥). فالوحدة الإسنادية الاسمية المركبة(١١)" ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن" المؤكدة بالقصر المتوصل إليه بحرف النفي" ما"، وأداة القصر "إلا" مؤدية وظيفة مقول القول. وبنيتها العميقة" ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا السجن". كما يلاحظ ورود الخبر " السجن " محولاً بزيادة " ال " التريف تعزيزاً لتقوية التوكيد.

الصورة العاشرة:

توضحها لنا الآية الكريمة: (وإن(١٢) من شيء إلا(١٣) يسبح بحمده) (الإسراء / ٤٤). فالجملة الاسمية المركبة في هذه الآية محولة بالزيادة لغرض القصر الذي قوامه " إن " الدالة على النفي، وحرف الجر الزائد " من "، والمبتدأ "شيء " المجرور لفظاً المرفوع محلاً. وأداة الحصر " إلا "، والوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة " يسبح" المكونة من الفعل المضارع المرفوع "يسبح"، والفاعل المضمر الذي لا يخلو منه " هو" المسجل أنها أدت وظيفة الخبر. و البنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي " وما شيء إلا مسبح بحمده ". فهي تنفي أن يكون هناك شيء لا يسبح بحمد الله، أي كل شيء يسبح بحمد الله.

ولقد أوضح الجرجاني أن هذا النوع من القصر جيء به لمخاطب منكر للأمر أو منزل منزلة المنكر(١٤)، أي الجاحد.

و قد يكون خبر مثل هذه الجملة الاسمية المحولة لغرض القصر وحدة إسنادية مقترنة بـ " لام" التوكيد ونون التوكيد الثقيلة". ونقف على ذلك في قوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)(النساء/١٥٩). فالوحدة الإسنادية المضارعية " ليؤمنن به " المؤلفة من الفعل

المضارع " ليؤمنن "(١٥) المتصلة به لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة، وفاعله المضمر "هم" وظيفتها خبر المبتدأ " أهل الكتاب". والبنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي" وما أهل الكتاب إلا مؤكد إيمانهم به". فهي تنفي أن

يكون هناك أحد من أهل الكتاب غير مؤمن به.

الصورة الحادية عشرة:

وفيها سنجد أن التحويل بالزيادة في الوحدذة الإسنادية القسمية بزيادة ثلاثة مؤكدات.

ونقف على ذلك في الآية الكريمة: (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) (يوسف/ ٧٩). حيث إن الوحدة الإسنادية القسمية المركبة " تالله لقد آثرك الله" المؤلفة من الوحدة الإسنادية المضارعية التي للقسم " تالله" التي قوامها حرف القسم " ت" المفيد التوكيد، ولفظ الجلالة " الله" المجرور به. بنيتها العميقة "نقسم بالله"، والوحدة الإسنادية الماضوية البسيطة المؤكدة التي لجواب القسم "لقد آثرك الله" المؤلفة من لام التوكيد المتصلة بالحرف " قد" المفيد هو الآخر التوكيد، والفعل الماضي" آثر"، والمفعول به المتمثل في الضمير المتصل" ك" ولفظ الجلالة " الله" الواقع فاعلاً هي في محل نصب مؤدية وظيفة مقول القول.

٢ - التحويل بإضافة العناصر العاملة (النواسخ):

في مبتدأ الأمر نلفت النظر إلى أن هذا النوع من التحويل قد يكون محلياً، وقد يكون جذرياً.

وإن من القضايا النحوية التي ترتبط بالجملة الاسمية وكذا بالوحدة الإسنادية الاسمية قضايا النواسخ التي تدخل على هذا التركيب الإسنادي فتغير أحد ركنيه أو تغيرهما معاً (١٦) فتحدث فيه أثراً من المعنى وشكل التركيب. وتسمى هذه الكلمات التي تعد عوامل لفظية نواسخ لأنها تزيل حكم المبتدأ والخبر وتغير إعرابهما.

وقد عبر عنها سيبويه بقوله: " ومما يكون بمنزلة الابتداء كان عبد الله منطلقاً وليت عبد الله منطلق "(١٧). وبقوله: " ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدإ" (١٨).

واللافت للانتباه أن الإسناد في الجملة الاسمية المنسوخة يظل هو الرابطة بين

المبتدأ والخبر حتى بعد دخول النواسخ عليهما. فلئن سجل تغير تسمية المسند والمسند إليه في التحليل النحوي، فإن الإسناد بينهما لا يتغير. حيث يبقى بين ما كان أصلهما المبتدأ أو الخبر لأن البنية الأصلية لهذا التركيب الإسنادي المنسوخ هي المبتدأ والخبر (١٩). سواء أكان التركيب الإسنادي جملة اسمية أم وحدة إسنادية اسمية. وسنجد أن من النواسخ ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر. ويشمل كان وأخواتها ، وأفعال المقاربة وأفعال الشروع، وأفعال الرجاء و" ما " وأخواتها النافيات المشبهات بليس الجاريات عليها. وهي " إن " و"لا" النافية للجنس و"ما " الحجازية. وهي جميعها أحرف.

ويلاحظ أن هذه النواسخ رتبتها على العموم الصدارة (٢٠).

وقبل معالجة صور هذا التحويل نشير إلى أن "كان " وأخواتها ليست أفعالاً على الحقيقة ،لأن الفعل الحقيقي هو ما يدل على معنى وزمان نحو قولك "ضرب" فإنه يدل على ما مضى من الزمان وعلى معنى الضرب. و"كان"(٢١) إنما تدل على ما مضى من الزمان فقط. فلما نقصت دلالتها كانت ناقصة. وقيل أفعال عبارة أي هي أفعال لفظية لا حقيقية، لأن الفعل في الحقيقة ما دل على حدث. والحدث الفعل الحقيقي، فكأنه سمي باسم مدلوله. فلما كانت هذه الأشياء لا تدل على حدث لم تكن أفعالاً إلا من جهة اللفظ والتصرف، فلذلك قيل أفعال عبارة (٢٢) ".

وهي أفعال مساعدة من شأنها أن تجعل الفعل الرئيس الذي يحمل الدلالة على الحدث والحدوث في الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة الخبر لهذه النواسخ الفعلية ذا اتجاه زمني ودلالة على توقيت خاص، أي يصبح وصف المسند إليه بالمسند منظوراً إليه من وجهة نظر زمنية معينة(٢٣).

ونشير إلى أن الوحدة الإسنادية الواقعة خبراً لهذه الأفعال الناقصة يجب أن تكون خبرية. قال الاستراباذي " هذه الأفعال كما تقدم صفات لمصادرأخبارها في الحقيقة. ألا ترى أن معنى كان زيد قائماً: لزيد قيام له حصول في الزمن الماضي، ومعنى: صار زيد قائماً: لزيد قيام له حصول في الزمن الماضي بعد أن لم يكن ومعنى أصبح زيد قائماً: لزيد قيام له حصول في الزمن الماضي وقت الإصباح. وكذا سائرها إذ في كلها معنى الكون مع قيد آخر كما ذكرنا غير مرة (. . .) لأن هذه الأفعال

لكونها صفة لمصدر خبرها تدل على أن المصدر مخبر عنه بالحصول في أحد الأزمنة الثلاثة(٢٤).

أولاً: صور التحويل المحلي:

الصورة الأولى:

وفيها نجد أن عنصر التحويل هو " أصبح ". ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) (الكهف/٤٢). فالجملة الاسمية المركبة المحولة "فأصبح يقلب كفيه" وردت الوحدة الإسنادية المضارعة " يقلب كفيه " مؤدية وظيفة خبر الفعل الناسخ" أصبح" تبين أن فعل التقليب إنما كان في الماضي مصحوباً بتوقيت معين هو "الإصباح".

ويلاحظ أن الفعل المضارع فيها" يقلب" يقدم لنا الدلالة على الحدث والحدوث المتكرر والدلالة المزاولة والتزجية والتفصيل في حدوث الحدث. وقد تعاون مع الفعل الماضي "أصبح" الدال على توقيت الصباح على تزويدنا بصورة حركية ترسم في مخيلتنا حركة الكفين وهما يزاولان التقليب مع تكرير هذا الحدث عدة مرات(٢٥). والبنية التوليدية لهذه الجملة هي " هو مقلب كفيه " .

الصورة الثانية:

ونقف عليها في قوله تعالى: (بل كانوا لا يرجون نشوراً)(الفرقان/٤٠). فالوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة " لا يرجون نشوراً " المنفية مؤدية وظيفة خبر الناسخ "كان". وبنيتها العميقة "غير راجين نشوراً". وهي تفيد أن نفي ذلك الرجاء حاصل في الماضي. وقد ساعد على ذلك عنصر التحويل المتمثل في "كانوا".

الصورة الثالثة:

وفيها تكون هذه الوحدة الإسنادية المضارعية مفيدة توكيد النفي المتوسل إليه بلام الإنكار. وشاهدها قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (الأنفال/ ٣٣). ذلك أن الوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة "ليعذبهم" مؤدية وظيفة خبر " كان" وبنيتها العميقة " بمعذبهم ".

والذي جعلني آنس إلى هذه البنية العميقة هو أن لام الإنكار (لام الجحود)

المقترنة بالفعل المضارع" يعذبهم " تفيد توكيد النفي(٢٦). وهي تكافئ الباء التي تقابلها في الوصف " بمعذبهم " التي تفيد هي الأخرى التوكيد.

يؤيد ذلك قول " سيبويه " : " وذلك قولك ما زيد بمنطلق، ولست بذاهب أراد أن يكون مؤكداً حيث نفا الانطلاق والذهاب"(٢٧).

الصورة الرابعة:

وفيها يكون عنصر التحويل فعلاً من أفعال المقاربة. ونقف على ذلك في قوله تعالى: (يكاد زيتها يضيء)(النور/٣٥).

إن الجملة الاسمية المحولة بزيادة عنصر التحويل " يكاد " في هذه الآية يلاحظ مجيء خبرها وحدة إسنادية مضارعية هي " يضيء" وهي " تدل على مقاربة حدوث الإضاءة من الحدوث ولكنه لا يقع في الزمن الحاضر أو الزمن المطلق(٢٨) بل يستحيل وقوعه(٢٩).

الصورة الخامسة:

وفيها تكون خبر مثل هذه الجملة الاسمية المحولة وحدة إسنادية مقترنة باللام المؤكدة. وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) (الفرقان/٤٢). فالوحدة الإسنادية المضارعية المؤكدة " ليضلنا" المؤلفة من لام التوكيد، والفعل المضارع" " يضل"، والفاعل المضمر الذي لا يفارقه" هو"، والمفعول به المتمثل في الضمير المتصل"نا" وظيفتها خبر " كاد". ولما كانت هذه الوحدة الإسنادية مسبوقة بـ " إن" المؤكدة الخفيفة(٣٠)، ولما كان فعلها " يضل" مقترناً باللام المؤكدة، فإنها قد أصبحت تدل على أن حدوث الضلال مؤكد في مقاربته من الحدوث ولكنه لم يحدث(٣١)، لأن إثباتها هو إثبات لمقاربة الفعل(٣٢).

الصورة السادسة:

وفيها نجد أن عنصر التحويل فعل من أفعال الرجاء.

ونقف عليها في قوله تعالى: (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا)(يوسف/٨٣). فالجملة الاسمية المركبة المحولة في هذه الآية يسجل أن الخبر فيها قد ورد وحدة إسنادية مضارعية هي " أن يأتيني" المؤلفة من الحرف السابك " أن" والفعل المضارع

المنصوب" يأتي"، وفاعله المضمر الذي لا يخلو منه هو، ونون الوقاية، والمفعول به المتمثل في ياء المتكلم. وهي تفيد رجاء وأمل سيدنا يعقوب عليه السلام من الله أن يأتيه بأبنائه جميعاً في المستقبل القريب(٣٣)، لأن " عسى" تستعمل لدنو ومقاربة الخبر(٣٤).

وما يلفت الانتباه هو أن خبر " عسى" لا يجيء إلا مع الفعل المستقبل، لأن "عسى" وضعت لمقاربة الاستقبال؛ ذلك أن " أن" إذا دخلت على المضارع أخلصته للاستقبال (٣٥). والبنية التوليدية للجملة الاسمية في هذه الآية هي "الله آت بهم " .

الصورة السابعة:

وفيها يكون عنصر التحويل هو "ليت" ونقف على عينة لها في قوله تعالى: (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي)(يس/٢٦). فالوحدة الإسنادية الاسمية المحولة بالزيادة في هذه الآية قد وردت الوحدة الإسنادية المضارعية المثبتة "يعلمون" فيها مؤدية وظيفة خبر "ليت". و بنيتها العميقة "عالمون". وهي تفيد تمني(٣٦) علم قومه بمغفرة ربه له.

الصورة الثامنة:

ومثل هذه الوحدة الإسنادية المضارعية قد تكون مؤدية وظيفة خبر الناسخ الحرفي " لعل" المفيد الترجي، وهو ارتقاب شيء محبوب لا وثوق في حصوله (٣٧). ونمثل لهذه الصورة بالوحدة الإسنادية الواردة في الآية الكريمة: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) (الطلاق/ ١). وهي" يحدث بعد ذلك أمراً " التي تعد وحدة إسنادية مضارعية مثبتة، وظيفتها خبر" لعل". وبنيتها العميقة " محدث بعد ذلك أمراً ". وهي تفيد ارتقاب وقوع حدوث أمر(٣٨) من الله عز وجل .

الصورة التاسعة:

وفيها تكون الجملة الاسمية المحولة بالزيادة مؤكدة بثلاثة مؤكدات. فحين نتأمل قوله تعالى: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)(الشورى /٤٣). نلاحظ المبتدأ فيها وهو " لمن صبرو غفر " الوارد وحدة إسنادية ماضوية قد اشتمل على لام الابتداء المفيد التوكيد. كما نلاحظ أن الوحدة الإسنادية الاسمية المؤكدة " إن

ذلك لمن عزم الأمور" المؤدية وظيفة خبر المبتدأ (٣٩) محتوية على مؤكدين: هما " إن " واقتران خبرها باللام المزحلقة المفيدة التوكيد. وبنيتها العميقة " لمؤكد وجوده من عزم الأمور" لتكون البنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي "وللصابر والغافر لمؤكد وجود ذلك من عزم الأمور". والخبر في هذه الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية إنكاري .

الصورة العاشرة:

وسنجد أن التحويل بزيادة عنصر التحويل " أن " وضمير الفصل الذي اقتضته دواع بلاغية. وقد جاء هذا الضمير فاصلاً بين هذه الوحدة الإسنادية وبين اسم " إن". ففي قوله تعالى: (وأنه هو أمات وأحيا)(النجم/٤٣). يلاحظ أن الوحدة الإسنادية الماضوية "أمات وأحيا"(٤٠).

أدت وظيفة خبر" إن". وقد جاء ضمير الفصل " هو" ليفيد قصر الخبر على المبتدإ (٤١)، أي قصر " الإماتة والإحياء"(٤٢) على الله تعالى، لأن ضمير الفصل يؤكد إسناد ما بعده إلى ما قبله أي إسناد الخبر إلى اسم "إن".

وإذا كنا قد سجلنا أن ضمير الفصل لم يأت في قوله تعالى: (وأنه خلق الزوجين) (٤٣) فذلك لأن خلق الزوجين لم يدع فيه لله شريك، ومن ثم فلا حاجة للقصر وسجلنا إثباته في الآية: (وأنه هو أمات وأحيا) لأن كثيراً من الجاهلين يعتقدون أن حياة الناس وموتهم في أيديهم (٤٤).

وما يلفت الانتباه ههنا هوأن هذه الجملة قد سجل فيها تحول آخر بالحذف. ذلك أن الإسناد الذي وجدنا فيه المسند فعلاً متعدياً هو "أمات" و"أحيا" لم يستوف مفعوله. وهو حسب "الجر جاني" يعني إسناد الإحياءو الإماتة مطلقا إلى المسند إليه "الله".

وقد أوضح "الجر جاني" المعنى الذي يكون عليه النظم عند حذف المفعول من الفعل المتعدي، ورأى أن المعنى في هذه الآية هو الذي منه الإحياء والإماتة. وأساس ذلك أن "كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون منه، فإن الفعل لا يعدى هناك لأن التعدية تنقص الغرض وتغيِّر المعنى (٤٥)".

الصورة الحادية عشرة:

ويسجل فيها أن التحويل آت من ثلاثة مؤكدات: ليغد والخبر إنكارياً. ونقف على نموذج لذلك في قوله تعالى: (وإنا نحن لنحي ونميت) (الحجر/٢٣). فالجملة الاسمية المركبة في هذه الأية محولة بالزيادة، وهي مشتملة على المؤكدات "إن"، وضمير الفصل "نحن" والوحدة الإسنادية المضارعية "لنحي" المؤلفة من لام التوكيد (٤٦)، والفعل المضارع "نحيي"، والفاعل المضمر "نحن"(٤٧) المؤدية وظيفة خبر الحرف الناسخ "إن". وهذه الوحدة الإسنادية يلاحظ أنها جاءت للزيادة في التوكيد.

وقد قوى تأكيد إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ضمير الفصل "نحن"، واقتران هذه الوحدة الإسنادية بلام التوكيد. وبذلك أبانت هذه الوحدة الإسنادية عن تخصيص المسند إليه، اسم "إن" بصفة الإحياء والإماتة واقتصارها عليه دون غيره (٤٨).

ثانياً: صور التحويل الجذري:

سبق أن عرفنا أن من النواسخ ما ينسخ المسند إليه والمسند معاً، فينصبهما مفعولين له. وهذه النواسخ هي ما يصطلح عليها بأفعال القلوب وأفعال التحويل. وتعد من العوامل اللفظية التي لئن لم تكن مؤثرة حقيقة في معموليها، فهي علامات تعين المنتحي سمت كلام العرب على التحليل الوظيفي (الإعراب) في الجملة الفعلية المركبة التي قد يكون أحد مفعولي هذه النواسخ فيها أو كلاهما وحدة إسنادية.

وإذا كان بعضهم يذهب إلى أن المفعول به يؤدي معنى ليس أساسياً في الجملة أو الوحدة الإسنادية، ومن ثم يمكن الاستغناء عنه من غير تسجيل فساد في هذين التركيبين الإسناديين. فعلى الرغم من أنه من أجل ذلك يعد عندهم فضلة، فإنه قد تشتد الحاجة إليه أحياناً أكثر مع الأفعال الناسخة المتعدية إلى مفعولين التي يصبح المفعولان فيها عمدتين، لا فضلتين باعتبار أصلهما الذي هو المبتدأ والخبر. ومن المتعارف عليه أن المفعول به الثاني هو الذي تتم به الفائدة الأساسية لأنه الخبر في الأصل، ومن ثم فهو الأهم(٤٩) شأنه شأن الخبر الذي هو من الناحية التواصلية المتحمل نقل الفائدة، ذلك أنه كما يرى" ابن يعيش" "الجزء المستفاد الذي يتفيده

السامع ويصير مع المبتدأ كلاماً تاماً"(٥٠). لذلك لا يمكن الاستغناء عن المفعول به الثاني مثل ما لا يمكن الاستغناء عن الخبر.

الصورة الأولى:

ونمثل لها بالجملة الآتية "حسب الظمآن السراب ماء"، المحولة بزيادة عنصر التحويل "حسب". وهذه الجملة في بنيتها العميقة اسمية، وهي "السراب ماء". وعد التحويل فيها جذرياً لأنها بتلك الزيادة تحولت الجملة الاسمية إلى جملة فعلية، حيث غدا المبتدأ مفعولاً به أول، والخبر مفعولاً به ثانياً.

الصورة الثانية:

نقف عليها في قوله تعالى: (ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض)(الحج /٥٣، ٥٢). فالوحدة الإسنادية المضارعية المثبتة " ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة" محولة تحويلا جذرياً. لأن بنيتها العميقة وحدة إسنادية اسمية مركبة هي " ما يلقي الشيطان فتنة ". وبإضافة عنصر التحويل المتمثل في الفعل المضارع " يجعل". تحول المبتدأ " ما يلقي الشيطان " الوارد وحدة إسنادية مضارعية إلى مفعول به أول. و تحول الخبر " فتنة " إلى مفعول به ثان.

الصورة الثالثة:

وفيها نجد فعل التحويل هو " حسب " وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا)(الأنفال/٥٩). حيث إن الجملةالفعلية المركبة في هذه الآية بنيتها العميقة جملة اسمية مركبة هي "الذين كفروا سبقوا" التي بنيتها الباطنية "الكافرون سابقون". و بزيادة عنصر التحويل "تحسبن" غدت جملة فعلية، حيث صار المبتدأ "الذين كفروا" الوارد وحدة إسنادية ماضوية مفعولاً به أول. وصار الخبر الوارد هو الآخر وحدة إسنادية ماضوية بسيطة هي "سبقوا" مفعولاً به ثانياً. والبنية العميقة لهذه الجملة المحولة تحويلاً جذرياً هي "ولا تحسبن الكافرين سابقين"

الصورة الرابعة:

و نقف على مثال لها في قوله تعالى: (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) (الأحزاب /٢٠). إذ إن الوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة " لم يذهبوا " هي في محل نصب

مفعول به ثان للفعل المضارع الناسخ " يحسبون ". وبنيتها العميقة " غير ذاهبين ". ويسجل أن هذه الوحدة الإسنادية تمثل " المسند " في البنية التوليدية للتركيب الإسنادي المنطوية عليه هذه الآية الكريمة. وأصلها خبر(٥١)؛ حيث إن البنية العميقة للجملة المحولة بالفعل " يحسبون " هي " الأحزاب(٥٢) غير ذاهبين".

obeikandl.com

هوامش وإحالات الفصل الخامس

(١) سبيويه: الكتاب، ٢ /١٠٣.

(٢) سميت جملة مركبة لأن الفاعل فيها ورد وحدة إسنادية .

(٣) صحيح البخاري، ٤/١. (٤) صحيح البخاري، ٦/ ٢٩.

(٥) الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، ٧٢٩/٢ .

(٦) ينظر إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة: ص١٨٠ .

(٧) ينظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإنجاز، ص ١٢٥.

(٨) اسم الفاعل " مفتر" معل بحذف لامه طلباً للخفة.

(٩) اسم " إن" قد ورد وحدة إسنادية ماضوية بسيطة " الذين تولوا ". وبنيتها العميقة" المتولين".

(١٠) ينظر د. محمد محمد أبو موسى: دلالة التراكيب، ص ١٤٦.

(١١) عدت مركبة لأن خبر المبتدأ فيها " أن يسجن" ورد وحدة إسنادية مضارعية بسيطة. .

(١٢) " إن" حرف نفي بمعنى " ما".

(١٣) إلا: أداة حصر بمعنى ما، ينظر الشريف نصار: معاني الحروف في القرآن الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤، ص ٣١.

(١٤) ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٢٥٦.

(١٥) وبنيته العميقة " ليؤمنونن" أعل بأن حذفت واوه تجنبا لالتقاء الساكنين.

(١٦) يعني أن ظن وأخواتها تغير المبتدأ والخبر فتنصبهما معاً مفعولين لها.

(١٧) سبويه: الكتاب، ٢٣/١.

(١٨) سبويه: المرجع نفسه، ١/ ٢٣، ٢٤.

(١٩) ينظر سيبويه: المرجع نفسه، ٢٤/١.

(٢٠) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٤٤.

(٢١) ينظر د. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ص ٦٤، وما بعدها .

(٢٢) ينظر د. سناء حميد البياتي: المرجع نفسه، ص٥٤، ٥٨.

(٢٣) ينظر د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٩٣.

(٢٤) الاستراباذي: شرح الكافية، ٢/ ٢٩٨.

(٢٥) ينظر د. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص٦٤ .

(٢٦) ينظر د. سناء حميد البياتي: المرجع نفسه، ص ٤١٧.

(٢٧) سيبويه: الكتاب،٤ / ٢٢٥.

(٢٨) ينظر د. سناء حميد البياتي: المرجع نفسه، ص ٣٥.

obeikandl.com

(٢٩) ينظر عباس حسن: المرجع نفسه، ١/ ٦١٥ (الهامش٢).

(٣٠) " إن كاد ليضلنا" هي جملة اسمية مركبة منسوخة. بنيتها العميقة "إنه كاد ليضلنا".

(٣١) ينظر د. سناء حميد البياتي: المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٣٢) ينظر السيوطي: همع الهوامع، ١/ ١٣٢.

(٣٣) ينظر عباس حسن: النحو الوافي، ١/ ٦٢١، ٦٢٢. وينظر أبو العباس: مجالس ثعلب، ٢/ ٣٩٥.

(٣٤) ينظر الأخضر شعلال: شرح الأنموذج لمحمد بن عبد الغني الأردبيلي، مخطوط بجامعة الجزائر، ١٩٨٤، ص١٧٣.

(٣٥) ينظر أبو العباس: مجالس ثعلب، ٢/ ٣٩٥.

(٣٦) ينظر السكاكي: مفتاح العلوم، ص ١٣٣.

(٣٧) ينظر الاستراباذي: شرح الكافية، ٢ /٢٤٦

(٣٨) ينظر الاستراباذي: المرجع نفسه، ٢٤٦/٢.

(٣٩) "لمن صبر وغفر" المقترن هو الآخر بلام الابتداء المفيدة التوكيد وعدت هذه اللام لام الابتداء لأن لام الابتداء لا تدخل على أداة الشرط. ينظر عباس حسن: النحو الوافي، ٦٦١/١.

(٤٠) " أحيا " هي وحدة إسنادية ماضوية معطوفة على الوحدة الإسنادية "أمات ".

(٤١) ينظر محمد محمد أبو موسى: دلالة التراكيب، ص ٩٣.

(٤٢) فالبنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة الخبر هي" المميت والمحيي".

(٤٣) ولم يأت هذا الضمير في الآية: وأنه أهلك عاداً الأولى وجاء في الآية: (و أنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أغنى وأقنى) للسببين اللذين أوضحناهما.

(٤٤) ينظر محمد محمد أبو موسى: المرجع نفسه، ص ٩٤.

(٤٥) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٢٧٠.

(٤٦) هذه اللام تسمى لام المزحلقة. ونجدها فقط في خبر " إن"، سواء أكان هذا الخبر مفرداً، أم وحدة إسنادية، أم جاراً ومجروراً.

(٤٧) والمفعول به هنا حذف لعمومه على الرغم من أن الفعل المضارع يقتضيه. ينظر ابن يعيش: شرح المفصل، ٢ /٣٩،٤٠.

(٤٨) ينظر د. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٤٠٥.

(٤٩) ينظر عباس حسن: النحو الوافي،٣/٢.

(٥٠) ابن يعيش: شرح المفصل، ٧/١.

(٥١) ينظر نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير للنشر والطبع، الأردن، ط١، ١٩٧٩، ص ٦٧.

(٥٢) المفعول به الأول" الأحزاب" هو مسند إليه (مبتدأ) في أصله في البنية التوليدية الاسمية.